



هوامش

لا «مياه سياسيّة» في العالم مثل مياه نهر النيل. خصوصاً بعد إعلان فشل المفاوضات في ظلّ تمسك كل طرف بوجهة نظره، والزعم بأنّه يمتلك حقاً لا سبيل إلى التفريط فيه



تنقسم منابع النيل إلى منابع استوائية دائمة ومانع موسمية (Getty)

النهر والسدّ صراع المياه يقلق الشعوب

القاهرة - محمد كريم

لا يمرّ يوم من دون أن يحمل تصريحات سياسية حادة من أطراف مصرية وسودانية وإثيوبية، بسبب التوترات التي تتزامن مع إقامة سدّ النهضة الإثيوبي. أعلن عن فشل المفاوضات في ظلّ تمسك كل طرف بوجهة نظره، والزعم بأنّه يمتلك حقاً لا سبيل إلى التفريط فيه.

في كتابه «النيل الأزرق» الذي صدر في 1962 يرصد المؤرخ والرحالة البريطاني آنان موريرد (1910-1983) ثلاثة أحداث كبرى أثرت في حوض النيل، الأول غزو نابليون لمصر (1798)، والثاني غزو محمد علي للسودان (1820)، والثالث غزو الإنكليز للحبشة (أي إثيوبيا، 1868). في تلك المراحل كان الرحالة والمغامرون الذين يصعدون إلى أعالي النيل يقودون الجيوش ويقودون مصير البلاد التي يمرّ فيها هذا النهر. تحكمت الدول الاستعمارية (بريطانيا وألمانيا وبلجيكا) في دول حوض النيل، ونيابة عن البلدان المستعمرة وقعت بريطانيا في 1929 اتفاقية حول إدارة مياه النيل، وبعد

استقلال مصر والسودان عن إنكلترا وقعت اتفاقية مكملة في 1959 لتقسيم مياه النيل، وهي اتفاقية ترفضها أغلبية دول حوض النيل باعتباره تقسيماً استعمارياً جائراً. دول حوض النيل التي تشترك في أنّ النهر يمرّ بأراضيها أو ينبع أحد روافده منها عشر دول هي: مصر، والسودان، وجنوب السودان، وإثيوبيا، وأوغندا، وكينيا، وتنزانيا، ورواندا، وبوروندي، والكونغو الديمقراطية، بالإضافة إلى إريتريا بصفتها دولة مراقبة. ورغبة في تقريب وجهات النظر وقّعت دول حوض النيل اتفاقية تعاون بتنزانيا عام 1999.

النيل ومانع

يبلغ طول نهر النيل 6670 كيلومتراً، وهو أطول أنهار العالم، وتبلغ مساحة حوض النيل 3,4 ملايين كيلومتر مربع. تنقسم منابع النيل إلى منابع استوائية دائمة ومانع موسمية. المنابع الاستوائية مصدرها مياه الأمطار الدائمة التي تصنع البحيرات الكبرى، وهي فيكتوريا، وجورج وإدوارد، والبرت، وكيجا، وتقدم للنيل حوالي 13 مليار متر مكعب بما يساوي حوالي 15 في المائة من مياه النيل. هناك

مجموعة من العوائق تقلل من الاستفادة من وصول المياه من المنابع الدائمة أبرزها كثرة المستنقعات في منطقة السودان، في دولة جنوب السودان وارتفاع معدلات التبخر. كان هناك مشروع لحفر قناة لإنقاذ المياه المفقودة في تلك المستنقعات، وتجهيز أكثر من مليون ونصف مليون فدان من الأراضي الخصبة. قناة جونقلي التي يبلغ طولها 360 كيلومتراً، تم إنجاز 260 كيلومتراً، منها لكنها توقفت بسبب الحرب في جنوب السودان، والآن على مصر أن توقع اتفاقاً جديداً لاستكمال القناة مع جمهورية جنوب السودان، وهي الجمهورية الجديدة الناشئة من جراء ذلك الصراع.

أما عن المنابع الموسمية، فمصدرها الهضبة الإثيوبية، وتقدم للنيل حوالي 71 مليار متر مكعب من المياه بنسبة حوالي 85 في المائة من مياه النيل، وهي تمد النيل عبر ثلاثة روافد: النيل الأزرق، وعطبرة شمالاً، والسوبات جنوباً. النيل الأزرق وحده يسهم بحوالي 65 في المائة من مياه النهر. وهو ينبع من جزيرة تانا في الشمال الغربي للهضبة الإثيوبية، ويسمى داخل الحدود الإثيوبية «أبباي»، وحين يدخل السودان يسمى النيل الأزرق، ويستمر لمسافة 1400

باختصار

تحكمت الدول الاستعمارية (بريطانيا وألمانيا وبلجيكا) بدول حوض النيل، ونيابة عن البلدان المستعمرة وقعت بريطانيا عام 1929 اتفاقية حول إدارة مياه النهر

يبلغ طول نهر النيل 6670 كيلومتراً، وهو أطول أنهار العالم، وتبلغ مساحة حوض النيل 3,4 ملايين كيلومتر مربع

بدأ العمل في سد النهضة على النيل الأزرق منذ عام 2011 على بعد 15 كيلومتراً من الحدود السودانية

كيلومتر، حتى يتصل بالنيل الأبيض عند الخرطوم ليبدأ النهر رحلته، فيخترق شمالي السودان، متجهاً إلى مصر، وصولاً إلى مصبه في البحر المتوسط.

سدّ النهضة

بدأ العمل في سدّ النهضة على النيل الأزرق منذ عام 2011، على بعد 15 كيلومتراً من الحدود السودانية؛ وهو مشروع إنشائي ضخم يبلغ ارتفاعه 170 متراً، وعرضه 1800 متر، وسوف يسع خزان السدّ 74 مليار متر مكعب من المياه، ومن المقرر أن تستغرق عملية ملء الخزان من 5 إلى 15 عاماً، وفقاً لمعدل الأمطار، وما قد تقرره الاتفاقيات التي لم يستقر على بنودها بعد. تقول أديس أبابا إنها تعول على السد في إنجاز مشروعات تنموية كبرى، أبرزها في مجال إنتاج الطاقة الكهربائية، بينما تخشى مصر والسودان من أضراره على حصصهما التاريخية في مياه النيل، وما يمكن أن يؤثر على البلدين اقتصادياً وتنموياً. وبينما أكد الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، عام 2017، أنّ مياه النيل «مسألة حياة أو موت لشعب» المنطقة ستشهد توتراً كبيراً إذا جرى العبث بحصة مصر في مياه النيل، لم تراجع إثيوبيا عن خططها الأحادية في تشغيل السدّ وملء الخزان، وقد حملت تصريحات وزير الخارجية الإثيوبي، ديمكي ميكونين، تأكيداً بأنّ إثيوبيا لن توافق على الشروط الرامية إلى الحفاظ على الهيمنة المائية لمصر والسودان.

وأخيراً

قرّر أن يجعل من الحنين عدواً

محمود الرجبي

نسمع القصيدة نظن، أحياناً، أنّه نسي كلمة اللؤلؤ أو أهملها، لكنّ تصرّف السيّاب في قصيدته يدلّ على تأنيبه، وحرصه، على الرغم من غزائره، إلى جانب علوّ كعبه في النحو والعروض والقوافي وصوتيات اللغة ورهافة ذائقة الشعرية. الأمر المهم الآخر، أنّ هذه المعلومة أوردها سعدي يوسف مصادفة، في أثناء حديثه في برنامج «مشارف» الذي كان يقّمه الشاعر والإعلامي المغربي ياسين عدنان. كان تأثير سعدي يوسف في جيله واضحاً، فيمكنه أن يكون شاعراً أثيراً بسهولة لكل من يقرأ قصائده، كما قال محمود درويش: «منذ قرأت شعر سعدي يوسف، صار الأقرب إلى ذائقتي الشعرية»، وأنا من العجيبين بشعر سعدي، منذ المدرسة الثانوية التي لم تكن تدرّسنا شعره، تجذبني عنده شعرنة التفاصيل والتحليق والتجنّيع بها، على سبيل المثال قصيدة «مسامير» التي تناولتها بالتحليل في أثناء دراستي في التسعينيات الأدب العربي في جامعة «محمد الخامس» بالرباط، حيث يُطلب منا، بعد اجتياز امتحانات المواد الكتابية والشفوية، أن نعدّ بحثاً لكي نتمكّن من التخرج، فافتحرت على الناقد نجيب العوفي، وكان يدرّسنا حينها المقامات والقصّة، أن يكون بحثي عن شاعرية المكان عند سعدي يوسف.

وكننت حينها متأثراً بما قرأت للناقد الفرنسي غاستون باشلار، خصوصاً كتابه «شاعرية المكان». استحسنت العوفي الفكرة، ووافق على أن يكون المشرف على البحث، وكانت المكتبة الوطنية بالرباط مولاً لمختلف المراجع والمصادر، وهي مكتبة تتميز بتوفير الكتب، حديثها وقديمها. والبحث نشره لي، بعد مناقشته الشاعر الراحل أمجد ناصر، على حلقات، في صحيفة القدس العربي. ثم صادفت سعدي يوسف مرات عدة، اثنتان منها في مسقط، إذ عُرف عنه حبه عُمان وتاريخها وطبيعتها وتضاريسها المتنوعة، وكان قد ذكرها

لم يفارق سعدي يوسف في شعره العراق، عاش الرغم من بعده عن بلده المنكوب الذي يسطع في قصائده

حين كان يقيم في عدن. وحين زارها أول مرة، كتب قصيدته «على مشارف الربع الخالي» أهداها إلى الأخرين محمد وعبد الله الحارثي، وفي تلك الزيارة رافقته في رحلة إلى الجبل الأخضر، وكان بالصحة أمجد ناصر، وقاسم حداد، وناصر العلوي، وفي زيارته التالية لمسقط، حضرت أمسيته التي أقامها النادي الثقافي، وعرض خلالها شريطاً وثائقياً عنه، تحدّث فيه بألم شديد عن فقدانه ابنه حيدر. وفي تلك المرة، كانت برفقته زوجته الإنكليزية، فأقاما في منزل الفنانة العُمانية، نادرة محمود، التي عُرفت بكرم وفادتها الكُتاب والمبدعين العرب. ومرة صادفته في الشارقة، وكان بصحبته الشاعر عبد الوهاب البياتي. تتميز بعض قصائد سعدي يوسف بالحماية المقترنة بالشوق والحنين، فهو في شعره لم يفارق العراق، على الرغم من بعده عن بلده المنكوب الذي يسطع في مختلف قصائده، كما تسطع طفولته وفتوّته الأولى أيضاً بالإشراق نفسه، ولا بدّ أنّه كابد كثيراً في الغربة والبعد عن وطنه العراق، حتى إنّه قال ذات لقاء: احتاج منّي الأمر، لقسوته، أن أجعل من الحنين عدواً، حتى أستطيع أن أتوازن وأمشي مستقيماً الظهر.